العدد (4077) السنة الخامسة عشرة - الأحد (3) كانون الأول 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

النساء أقوى.. النساء أطول عمراً

□ د. لاهاي عبد الحسين

من الحقائق العلمية المؤكدة من وجهة النظر السكانية والمعززة احصائياً وفي كل بلدان العالم بغض النظر عن مستوى التنمية والتقدم التقني في أيّ منها، أنّ الإناث أقوى من الذكور في السنة الأولى من العمر بدليل قدرتهن على مقاومة المرض وبالتالي الاستمرار بالحياة فيما يعرف الذكور بمعدل وفيات أعلى في تلك السنة المبكرة من العمر لضعفهم وهشاشتهم. كما يعرف سكانياً أنّ معدل الذكور أي عدد الذكور المولودين لكل مئة أنثى أنّه أعلى عند الولادة ولكنّه سرعان ما يستعدل ليتساوى عدد الذكور والإناث فيما بعد بسبب ارتفاع معدل وفيات الذكور بالمقارنة مع الإناث مما يتطلب اهتماماً أكبر بصحة الذكور لمساعدتهم في تخطي مخاطر المرض واحتمال الموت في تلك السنة المبكرة من العمر.

من ناحية أخرى، تظهر الإحصاءات السكانية أنّ النساء أقوى من الرجال كما يستدل على ذلك من خلال قدرتهن على مقاومة المرض ومن ثم الموت في سن متقدمة من العمر تبدأ في الأربعين فما فوق بالمقارنة مع الرجال. فأمراض القلب والدماغ التي قد تتسبب بالإصابة بجلطات قلبية أو دماغية تميت الرجال في الغالب ولكنّها لا تفعل ذلك مع النساء بنفس المعدل. وفي سن متقدمة ظهر أيضاً أنّ النساء يعمّرن بعدد سنوات أكثر من الرجال تتباين فيما بين البلدان الغنية أو المتقدمة بالمقارنة مع البلدان الفقيرة او الأقل تقدماً ولكنّهن عموماً يعمّرن لفترات أطول من الرجال في كلتا المجموعتين من بلدان العالم. يتضح هذا من خلال ما يسمّى تقنياً "توقع العمر" أو عدد السنوات التي يتوقع للإنسان أنْ يعيشها ابتداءً من الولادة وهي آلية علمية تحسب على أساس إحصاءات سكانية عامّة وتعطي مؤشرات لا تنطبق بالضرورة على حالات فردية محددة.

على سبيل المثال وفقاً لإحصاءات منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٤ تعمّر النساء لفترات أطول من الرجال بست سنوات في البلدان المتقدمة على وجه العموم، فيما ينخفض هذا إلى ثلاث سنوات في البلدان الأقل تقدماً. وتتصدر النساء اليابانيات سلّم الترتيب في العالم، حيث بلغ توقع العمر لهن ٨٧ سنة تليهن في ذلك النساء في بلدان فرنسا واسبانيا وأستراليا وسويسرا وكوريا الجنوبية وسنغافورة وإيطاليا والبرتغال، التي بلغ توقع العمر فيها ٨٤ سنة. وتصدر الرجال من بلدان آيسلندا وسويسرا وأستراليا قائمة الرجال الأطول عمراً في العالم ممن بلغوا حاجز الـ ٨١ سنة. عربياً، تصدرت قطر سلم الترتيب، حيث بلغ توقع العمر للنساء فيها ٨١ سنة تلتهن في ذلك نساء لبنان والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة وبفارق ثلاث سنوات إلى سنتين أي ٧٨ أو ٧٩ سنة على التوالي. أما العراق وبحسب المنظمة الدولية، فقد بلغ توقع العمر فيه ٦٦ سنة بالنسبة إلى الرجال فيما ارتفع إلى ٧٤ سنة بالنسبة إلى النساء. فارق واضح وبيّن لأسباب كثيرة معروفة. ولم ينخفض توقع العمر بالنسبة إلى الرجال بعد العراق إلا في بلدان سوريا واليمن (٦٢) سنة، والسودان وموريتانيا (٦١) سنة، والصومال (٥١) سنة.

تثير هذه البيانات السكانية الثابتة نسبياً عدداً من التساؤلات المقلقة حول واقع ومستقبل الخدمات التي يتحتم على المجتمع القيام بها لتأمين مستلزمات الحياة الحرة الكريمة لهذه الشرائح السكانية التي تتوسع يومياً من النواحي الكمية، ناهيك عما يمكن القول بشأن انخفاض مؤشر نوعية الحياة لهم على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي. ويصبح الوضع أكثر إثارة للقلق بالنسبة إلى النساء على وجه التعيين ممن تمتحن قدراتهن الطبيعية والصحية في سن مبكرة من خلال مقاومة المرض ومن ثم تحمل أعباء الحياة المنزلية غير المعترف بها مالياً وفترة الحمل والولادة التي تستنزف قدراتهن البدنية والوجدانية، على السواء.

خذ على سبيل المثال أنّ قدرة المرأة على الحمل بصورة طبيعية تتحدد بأربعة أطفال فقط فيما يؤدي الحمل الخامس إلى النيل من قدرتها على مواصلة الحياة بدون مشكلات صحية جدية تنال منها في مرحلة عمرية متقدمة من حيث الاستعداد للإصابة بمرض هشاشة العظام أو مرض فقدان الذاكرة وأمراض القلب والضغط وما إليها. هذا إلى جانب ما تحمله الحياة الاجتماعية من تحديات مستدامة تقحم فيها النساء لمقاومة محاولات التصيّر التي يحاول المجتمع فرضها عليهن مستخدماً سلطة الدين والقانون والقيم والمعايير السائدة وما درج الناس عليه من عادات وتقاليد مقاومة للزمن.

استقطبت هذه الحقائق المهمة اهتمام المؤسسات الحكومية المعنية بحماية المرأة والطفل والمنظمات النسوية الفاعلة في مختلف بلدان العالم، مما أدى إلى المطالبة بإجراء تعديلات جوهرية على مستوى سياسات التقاعد والأجور لمواجهة الأعباء الاقتصادية التي يتوقع لهن التعامل معها بدون دعم شريك يسهم بالتخفيف عنهن. ولعلّ من هذه التعديلات التي تمّ تبنيها من قبل الأمم المتحدة وبالتالي العديد من بلدان العالم ومنها العراق، منح المرأة حق اختيار راتب الزوج أو المعيل بعد وفاته إذا كان أعلى من الراتب الذي تتقاضاه، وكذلك يفعل الرجل في حال قرر الاستفادة من راتب الزوجة المتوفاة إذا كان راتبها أعلى من راتبه، وهو النادر في العادة. الا إنّ الراتب ومستلزمات الحياة الاقتصادية على أهميتهما يمثلان جانباً أحادياً ضيقاً من المشكلة متعددة الأبعاد بالنسبة إلى النساء. فالحياة آخر العمر أكثر من راتب يؤمن وضعاً اقتصادياً يكفل العيش الكريم.

تمر هؤلاء النساء بمرحلة نزع السلطة والمكانة والاعتبار على الصعيد العائلي مما يوّلد فراغاً ذا عمق اجتماعي مهم يترك آثاراً على أكثر من جانب في حياتهن ومنه إمكانات الحصول على الرعاية الصحية اللازمة. وهناك الجوانب الأدبية والأخلاقية ذات الصلة بمواجهة شبح الوحدة والعزلة في وقت تتضاءل فيه فرص البدائل المناسبة في ظل أجواء عائلية طبيعية. تشهد على هذا الأعداد المتزايدة من المسنات اللواتي يقصدن دور الرعاية والإيواء الخاصة بهن لأسباب متنوعة لا تنحصر فيما هو متعارف عليه مثل هجرة الأولاد للدراسة أو العمل أو الحروب والنزاعات المسلحة التي سلبت المعيل زوجاً كان أو ولداً وإنّما أيضاً التخلي والإنكار مع سبق الإصرار. ينقل المشتغلون في دور إيواء المسنين قصصاً يعتبرها عديدون من قصص الخيال الأجنبي التي لا يمكن أنْ تحدث في العراق عن أشخاص أودعوا أمهاتهم دون أنْ يشرحوا لهن الأمر أو من خلال تركهن في مكان ما مع وعد بالعودة خلال دقائق لتصير الدقائق سنيناً، وغيرها الكثير. ولا تتخلص نزيلات آخر العمر من الضغوط التي يضعها أبناؤهن ممن تخلوا عنهن حتى بعد إيداعهن في هذه المؤسسات كما في أنْ يحرم عليهن إظهار وجوههن أو الحديث بالإسم الصريح إلى وسائل إعلامية أو وسائل التواصل الاجتماعي لكي لا يجلبن العار لهم وهم في منافيهم المختارة، إلخ.

تحظى الشرائح السكانية الشابة من النساء باهتمام وإنْ لم يكن دائماً من نوع الاهتمام المرحّب به بحكم العقلية شبه الميتة التي تقود كثيراً من المهتمين بشؤون المجتمع والتي تقوم على قاعدة إحكام الطوق وفرض القيود المصمّمة لمصادرة الحقوق والتضييق على الحريات، إلا أنّ النساء الأكبر سناً يبتلين بالإهمال المتعمد الذي يجد تفسيره في جوانب متعددة منها خطاب النهاية والوداع وانتهاء "مونة" الحياة و"زبدتها". خطاب لا يعجل بالموت والنهاية ولا يشجع على التجاوز فحسب بل ويشيّع الحي إلى حتفه المحتوم بأبكر بكثير مما يتوقع له أنْ يحصل.

هناك الكثير مما يمكن فعله لمساعدة الأعداد المتزايدة من المسنّات على وجه التعيين لإعادة إدماجهن بالحياة من خلال المشاركة في نشاطات وفعاليات متنوعة تفيد وتستفيد منها وبخاصة على مستوى المدارس والمجالس الاجتماعية بأنواعها. فقد أثبتت التجارب والخبرات العملية للعديد من الأشخاص، أنّ النشأة في ظل أجواء عائلية أقرب إلى التقليدية حيث تتوفر العلاقات القرابية التي تتمم بعضها الآخر وبخاصة على مستوى التمتع بأداء دور الجدة والجد والعمّة والعم وما شاكلها من أدوار، أنّهم أقرب إلى الصحة النفسية وأكثر متانة من النواحي المعنوية والأدبية من غيرهم ممن لا يحظون ببيئات اجتماعية متكاملة من هذا النوع. ثم إنّ من مصلحة الأولاد الصغار أنْ يألفوا أكثر من دور اجتماعي إلى جانب الدور المهم والأساس الذي يؤديه الأبوان تجاههم من أجل تطوير تصور أكثر اكتمالاً لدوران الحياة الاجتماعية. هذه واحدة من القضايا التي تتطلب اهتماماً آنياً ومبكراً للمساهمة في صنع مجتمع يمكن أنْ يحلم بأنْ يكون سعيداً.

تمر هؤلاء النساء بمرحلة نزع السلطة والمكانة والاعتبار على الصعيد العائلي مما يوّلد فراغاً ذا عمق اجتماعي مهم يترك آثاراً على أكثر من جانب في حياتهن ومنه إمكانات الحصول على الرعاية الصحية اللازمة. وهناك الجوانب الأدبية والأخلاقية ذات الصلة بمواجهة شبح الوحدة والعزلة في وقت تتضاءل فيه فرص البدائل المناسبة في ظل أجواء عائلية طبيعية.

البعض منهم

□ د. أثير ناظم الجاسور

بعد أن شرعت سلطة الاحتلال الأمريكي بتأسيس مجلس الحكم الانتقالي على أسس طائفية وقومية ودينية بدعوى تمثيل مكونات المجتمع العراقي كافة، والذي بدوره ساهم فيما بعد في تدعيم سلطة البعض المتعطشين إلى تقسيم العراق وفق معاييرهم الطائفية والمناطقية والقومية التي كانت ومازالت تهدّد الهوية الوطنية بالصميم، ولم يكتفوا بهذا فقط بل شرعوا وفتحوا الأبواب للفساد الإداري والمالي وحوّلوه لثقافة سادت واستشرت سياسياً واجتماعياً، كل هذه الأساليب وغيرها وبعد الأربعة عشر عاماً من عمر الدولة الجديدة، أكدت سلطة البعض وما كانت ممارساتهم غير المنطقية في إدارة الدولة إلا عاملاً مساعداً على ترسيخ نفوذهم سواء كانوا في السلطة أو خارجها.

أما البعض الآخر هم وقود معارك وصراعات البعض الأول أو هم من ينفّذ دوره بحرفية عالية من حيث لا يعلم أو قد يعلم، لكن حجم الانقسام جعله غير قادر على تأكيد دوره كمصدر للسلطات، هذا القسم متواجد في كل المناسبات والأزمات لكن في تقرير مصيره والحصول على حقوقه يسجّل في ذهن المسؤول غائب، هم وقود المعارك واستعادة الأرض بعد أن تم تسليمها من قبل الطارئين على العمل السياسي وإدارة الدولة وهم ذاتهم من يشارك في كرنفال الانتخابات التي تنقلهم كل أربع سنوات من بؤس لآخر، بالتالي فإن القسم الأول يعد القسم الثاني من هؤلاء البعض سُلّم الصعود إلى القمة، وعلى الرغم من أن كل الدساتير في العالم تؤكد على أن الشعب هو مصدر السلطات إلا أن البعض من استولى على السلطة في العراق ساهم في جعل مالك السلطة داعماً لسلطته.

هنالك بعض ثالثة وهذه هي مادة السؤول أو السياسي وهي تستخدم كإيحاء على أن هناك مجموعة معارضة داخل البرلمان أو داخل الحكومة يعارضون عمل الفريق الحكومي منطلقين من حقهم في تولي السلطة وفسحة الديمقراطية وبصورة غير مباشرة يحاول ايصال رسائل لخصومه على أنه قادر على القضاء عليهم، هذه الصراعات البعضية تبدأ عندما تنتهي الشراكات الحزبية وتبدأ حملات التسقيط السياسية، كلمة البعض يستخدمها المسؤول العراقي للإشارة إلى معرقلي العملية السياسية داخلياً وفق حسابات ذلك المسؤول، بالتالي نجد أن التدهور الاقتصادي والاخفاقات السياسية وعدم الاستقرار الأمني والفساد الإداري والمالي وتبديد أموال الدولة والتبعية السياسية، كلها تشير إلى البعض الذين يحاولون النيل من كل الايجابيات المترجمة على الأرض والتي قد تتعارض مع تحقيق مصالحهم وفق تصوراتهم هم.

لم يستطع العراقيون التخلص من سلطة البعض التي فشلت في عملية الادارة والتنظيم ولن يتخلصوا طالما تبقى هذه الطبقة تنتج صراعات وأزمات ساعدت في تأكيد الانقسام السياسي والمجتمعي، إن الواقع السياسي يحتم على الجميع مراجعة تامة لكل الأحداث لاسيما وأن العراق مرّ خلال هذه الفترة بانكسارات كبيرة جعلت منه ضعيفاً، خصوصاً وأن إقليمه وتحديداً دول جواره، تحاول الحفاظ عليه ضعيفاً غير قادر على إدارة نفسه من خلال سيطرتهم على البعض من السياسيين، لتبقى معادلة بعض من يحكم في العراق غير قادر على تلبية حاجات البعض المحكوم معقدة غير قابلة للحل إلا بعد أن تكبر مساحة الوعي عند المحكوم ويعلم أن ما بين البعض والبعض محرقة وقودها الجميع بعد أن ساء التدبير وضاع التقدير.

البيوت الخاوية

□ حسين الصدر

-١-

قرأنا في بعض كتب الأدب، قصة عثمان الطفيلي – الذي كان معاصراً للمأمون – فقد حدّث عن نفسه فقال :

" مررتُ بجنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول :

يذهبون بكَ الى بيتٍ لا فراشَ فيه
ولا وطاء،
ولا ضياء ولا غطاء،
ولا خبز ولا ماء،

فقال ابني :

يا أبت الى بيتنا والله يذهبون

-٢-

والسؤال الآن :

كم منْ بيت خاوٍ على عروشه في العراق اليوم، بعد أنْ فتك الدواعش الأوغاد بالبلاد والعباد، وأكثروا فيها الدمار والفساد ؟!
وملأوا المقابر بالأجساد ؟!

-٣-

هناك الملايين ممن هم تحت خط الفقر، وأعداد ضخمة من الفقراء قال (ابن الطوابيقي) – المتوفي سنة ٥٩٦ هجرية

يَصفُ داره بل يصف حاله ..!!

ليَ بيتٌ تموتُ فيه السنانيرُ
هزالاً والفأرُ في الأسراب
انا فيه فوق التراب وخيرٌ
ليَ منهُ لو كنتُ تحتَ التراب

فما قولك في بيت تموتَ فيه القطط والفيران، ويلعلع فيه الفقر والحرمان، ويتمنى صاحبه أن يكون تحت التراب لا فوقه ؟!

فالموت خير له من تلك الحياة البائسة المرهقة ...

ابن شاكر / ٣ / ١٩١

نعم إن هناك الملايين من البائسين والمستضعفين الذين عزّ عليهم سَقْفٌ يحميهم من الحرّ والبرد، وأشبار من الأرض يتخذونها مأوى وسكناً ؟!

-٤-

إن البحث عن "الطعام" في القمامة يكاد لا يُصدّق في بلد نفطيٍّ ثريٍّ كالعراق، ولكنها الحقيقة المرّة بعينها ..!!

-٥-

إن ما يُدفع من تخصيصات للرعاية الاجتماعية الى بعض العوائل لا يغطّي الاّ اليسير من نفقاتهم، وهو لا يُسمن ولا يغني من جوع ..!!

ومن هنا فلا بُدَّ أنْ تنطلق المبادرات الخيّرة من قبل كُلّ القادرين على الإرفاد والاسعاد، وقليل ماهم ..!!

-٦-

في الغرب قد يوصي بعض الأثرياء (لِكَلْبه) بعمارة، وعندنا لا يُوصي الموسرون لذويهم وأهليهم بشيء يذكر ..!!

وهذه المفارقة المرّة ..!!

-٧-

ومما يحزن إن الكثير من الأطفال تركوا دراستهم ومدارسهم وانطلقوا في الشوارع يبيعون زجاجات المياه وشبهها من البضائع إنقاذاً لأهليهم من الموت جوعاً ...

الأمر الذي ينذر بأوخم العواقب المستقبلية .

-٨-

وأفظع ما يملأ القلوب بالأشجان والمرارة، أنْ تنتفخ " كروشُ " حيتان الفساد، وتتدلى تزامناً مع هذا الفَقر الفظيع والبؤس المريع .

إنهم يختلسون نصيب الفقراء والبائسين والمستضعفين من المال العام، ويحوّلونه الى أرصدة وعقارات ومشاريع ولا من محاسب أو عقاب ..!!

ولو كانت المبالغ المختلسة ضئيلة محدودة المقدار لهان الأمر، ولكنها المليارات الضخمة من الدولارات، تسربت الى خارج الحدود، وشقّت طريقها الى المصارف الأجنبية، وتحوّلت الى ممتلكات شخصية في مختلف بقاع العالم ...

-٩-

إنّ الانتصارات العسكرية على " داعش " مهمة ومُفرحة ولكنها مالم تقترن بالقضاء على دواعش الاختلاس والفساد تبقى محدودة الأثر .

ولن يذوق العراق الحبيب طعم العافية الاّ بعد تطهير البلاد من رجس الفاسدين المفسدين، كما تم تطهيرها من دنس الإرهابيين التكفيريين، ذلك أن الإرهاب والفساد وجهان لعملة واحدة – كما هو معلوم – .

-١٠-

لو أنّ كل فرد من الأفراد في بيوتنا العامرة يضع (١٠٠٠) دينار كل يوم في صندوق معين، لأمكن أن نوصل الى بعض العوائل الفقيرة شيئاً من الإعانة التي تخفف عنهم الأعباء ولكن أين هي الصناديق ؟ وأين هو الاهتمام بأهل الضيق ؟

يقول الشاعر :

ألذُّ مودات الرجال مذاقةً مودةُ
مَنْ إنْ ضَيّقَ الدهرُ وسّعا
فلا تلبس الودَّ الذي هو ساذج
اذا لم يكن بالمكرمات مُرَّصَعا

-١١-

قيل :

إن أحد الأثرياء كان يقصد الحرم العلوي المطهر فيكثر من الركوع والسجود ...

يكثر من الصلوات

وفي زعمه إن هذا منتهى العبادة فوقف عليه أحد العلماء وقال له :

إن هذه عبادة الفقراء الذين لا يملكون ما ينفقون فيتقربون الى الله سبحانه بأداء النوافل ...

أما أنت فعبادتك أن تنفق من أموالك الضخمة في مضامير البر والإحسان والخير، وإغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب، واشباع الجائع، وقضاء حاجة الفقير المعدم .

-١٢-

ومن نافلة القول التذكير بما أعدّه الله تعالى من مثوبات للمنفقين في سبيله ،

إنه يُضاعف له ما ينفقون أضعافاً مضاعفة، حتى أنها تفوق حساباتهم قال تعالى :

(مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حَبّة أنبتتْ سبعَ سنابل في كل سنبلةً مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء).

فهنيئاً للباذلين .

-١٣-

ليكن التنافس في هذه الميادين، فالصراعات والاختلافات بين المحترفين السياسيين قد أضرت بالبلاد والعباد، وقد بلغ السيل الزبى، ولابُدَّ من اجتناب المغامرات في بحار الأهوال المتلاطمة الأمواج، وصولاً الى مرافئ الأمان والاستقرار والسلام.

ويا أيها المتصارعون :

إنكم مسؤولون عن :

البيت الخاوي ،
والجيب الخاوي ،
والغصن الذاوي ،
وعن كل كبد حرّى ...